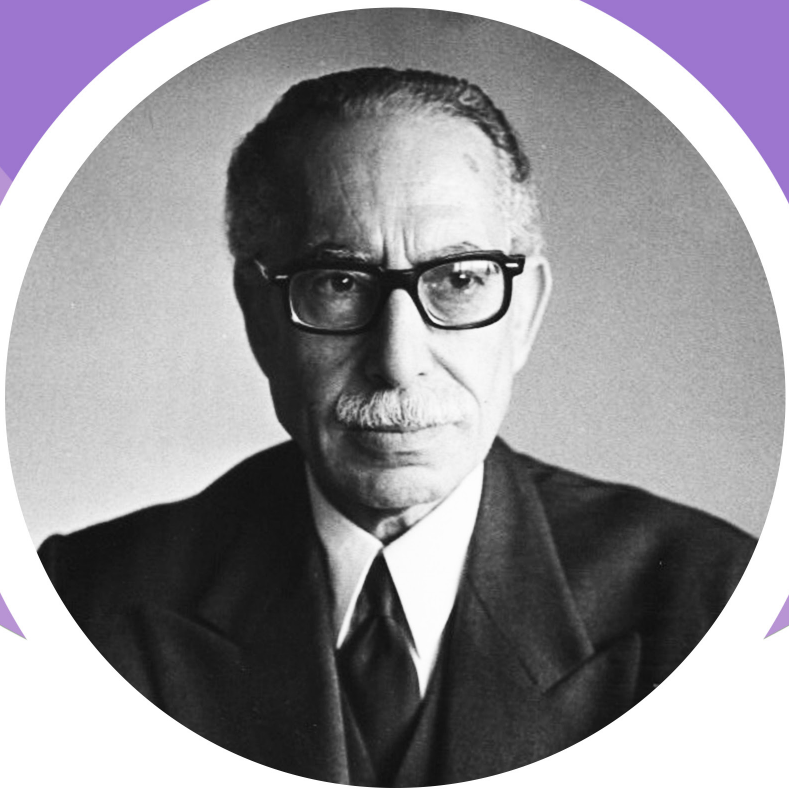

لا تبحثي عن الحقيقة

توفيق الحكيم

لا تبحثي عن الحقيقة

تأليف
توفيق الحكيم

هنـــداوي

لا تبحثي عن الحقيقة

توفيق الحكيم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

الترقيم الدولي: ٣ ٣٤٧٩ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٤٧.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٤.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ توفيق الحكيم.

لا تبحثي عن الحقيقة

(الزوجة تدخل على الزوج، وهو في حجرة مكتبه.)

الزوجة: هذه الخطابات لك؛ لأنها بخطِّ يدك، وقد وجدتُها في جيوبك.

الزوج: هل تفتِّشين في جيوبي؟!

الزوجة: طبيعي؛ لأني لا أستطيع أن أرسل ملابسك إلى الكوَّاء قبل أن أستخرج ما في جيوبها!

الزوج: معقول!

الزوجة: في إمكانك أن تطمئن إلى أني لم أقرأ هذه الخطابات، وإن كانت الأمانة تدعوني إلى الاعتراف بأن بصري وقَع عفوًا على كلمة «عزيزتي»!

الزوج: وأنتِ في إمكانك أن تَطمئنِّي إلى أن هذه الخطابات بريئة كلَّ البراءة!

الزوجة: ومَن الذي يتَّهمك؟

الزوج: حسبت أنه قد خالَجكِ بعض الشك ... ولكني أقسم لكِ ...

الزوجة: لا تُقسِم! ... لا تُقسِم!

الزوج: لماذا؟! ... أرى في صوتكِ كأنكِ ترتابين!

الزوجة: على النقيض ... إني هادئة كلَّ الهدوء.

الزوج: هذا لا يدل على شيء ... ربما كان هو الهدوء الذي يسبق العاصفة!

الزوجة: أتتوقَّع عاصفةً تهبُّ على حياتنا الزوجية؟

الزوج: لستُ أجزم بذلك ... ولكن ...

الزوجة: إنكَ تتَّهم نفسك.

الزوج: أنا ... لم أرتكب شيئًا يضعني مَوضعَ الاتهام.

الزوجة: وأنا ليس لديَّ ما أوجِّهه إليك، أو آخُذه عليك.

الزوج: اتَّفقنا إذن.

الزوجة: وهل كنَّا مختلفين من قبل؟

الزوج: خشيتُ أن هذه الخطابات …

الزوجة: إنك تؤكِّد لي أنه ليس فيها ما يريب.

الزوج: قطعًا.

الزوجة: انسَ أمرَها إذن! … أو احتفِظ بها في مكان أمين!

الزوج: وما الداعي إلى حفظها؟ … لقد كانت متروكةً في جيبي! … وكان الواجب أن أمزِّقها!

الزوجة: ولماذا تمزِّقها؟ كان الواجب أن ترسِلها إلى مَن كتبتَها لها!

الزوج: وقد أرسلت … أعني … هذه في الحقيقة مُسودات!

الزوجة: حسنًا فعلت … أن تكون معها حريصًا على كل هذه العناية! … فأنت قَلَّما تلجأ إلى التسويد في كتاباتك!

الزوج: المسألة لها أصل!

الزوجة: هذا أيضًا أمرٌ محمود منك … أن يكون لها أصل، تحتفظ به دائمًا ذِكرى جميلة باقية … وترسِل إليها هي صورة مُبيَّضة مُنمَّقة!

الزوج: هذا حدَث بالفعل … ولكن …

الزوجة: التسويد والتبييض في هذه الخطابات فكرةٌ طارئة عليك؛ لأنك لم ترسِل إليَّ أيامَ خِطبتنا غير التسويد، فيما أعتقد! … فكانت الأسطُر مليئةً بالشطب، والخطُّ مبعثَرًا مهمَلًا؛ كنَبْش الفراخ في التراب، والأفكار تُعاد وتُكرَّر كأنها صادرة عن أسطوانة «فونوغراف» خَرِب! … والعواطف تُردَّد بألفاظها ونَصِّها كأنها أنشودة في مِنقار ببغاء!

الزوج: عجبًا! … ألستِ أنتِ القائلة إن عواطفي كانت صادقة، وإنكِ ستعيشين العُمر تردِّدين عِبارتي المأثورة، التي قلتها فيكِ … «عزيزتي … لقد جدَل القدَرُ من أشعة الخُلْد ذلك الحبلَ الذي سيربطني بكِ طول الأبد!»

الزوجة: يا لكَ من زوجٍ ضعيفِ الذاكرة!

الزوج: أنا؟ … وكيف أُلقيتُ عليكِ هذه العبارةَ الآن من ذاكرتي؟!

الزوجة: ليس من ذاكرتك البعيدة، ولكن من هذه المُسودات القريبة العهد!

الزوج: كيف تقولين إذن إنكِ لم تَقرئي هذه الخطابات؟

الزوجة: أرأيت؟ ... لقد قلتَ لامرأة أخرى ما سبَق أن قلتَه لي! ... وردَّدتَ العبارةَ بألفاظها ونَصِّها، وأسمعتَها لغيري ولم يمضِ على «طول الأبد» الذي وصفتَه أكثرُ من عامَين!

الزوج: يا لي من زوجٍ أحمق! ... كان يجب أن أفهم أنَّ ذلك مستحيل!

الزوجة: ما هو ذلك المستحيل؟

الزوج: أن تَعثرَ زوجة على خطابات في جيوب زوجها ولا تقرأَها!

الزوجة: خصوصًا إذا كانت متوَّجة بكلمة «عزيزتي»!

الزوج: ولماذا كذبتِ عليَّ وزعمتِ أنكِ لم تقرئيها؟

الزوجة: لأهوِّن عليكَ موقف الحرَج! ... وأجنِّبك وقْعَ الخجَل! ... وأجعلك تعيش لحظةً في تأنيب ضميرك، وهي أقسى من أن تعيش لحظاتٍ في تأنيب لساني!

الزوج: إني لم أفعل شيئًا أستحقُّ عليه تأنيبَ ضميري أو لسانك!

الزوجة: لكَ أن تُصرَّ على ذلك ... فأنا لستُ لك قاضية، إنما أنا لك زوجة ... وإذا وقف زوجٌ في ساحات المحاكم يَرزح تحت أثقال الأدلة وهو يصيح: «إني بريء!» فعلى الزوجة أن تصيح معه في وجه القرائن والبراهين: «هو بريء!» ... ذلك واجبها!

الزوج: إنكِ تزيدين في همِّي بهذا الكلام.

الزوجة: وأنت تخفِّف من مهمتي بهذا الاعتراف ... أفرِغْ همومَك بين يدي، وأنا أعرف كيف أعالجك ... هذا أيضًا واجبي!

الزوج: ماذا أقول؟

الزوجة: قُل الحقيقة!

الزوج: أتظنين من السهل قول الحقيقة في كل الأحيان؟

الزوجة: ليس لكل إنسان ... هذا صحيح ... ولكن ثِق أني من ذلك النوع من الإنسان الذي تستطيع أن تقول له الحقيقةَ دُونَ أن تخشى شيئًا ... فإنك لن تواجهني بجديد، ولم تصدمني بما لم أتوقَّع ... وكل ذنوبك عندي يمكِن أن تُغتفر! ... وكل ما تحدِثه في قلبي من جِراح يمكِن أن يُضمد، فلا تكتم عني الحقيقة خوفًا من أن تؤلمني! ... ثِق أن هذا يضاعِف ألمي ... إن الراحة الكبرى عندي في صفاء الحقيقة! ... والعذاب الأكبر في ضباب الإخفاء والكتمان!

الزوج: إذن أقول لكِ الحقيقةَ لأريحك!

الزوجة: قُل!

الزوج: لي صديقٌ قديم لا تعرفينه، من رجال الأعمال، فيه كل المزايا التي تحبِّبه إلى المرأة إلا مَزِيَّة واحدة؛ هي أنه لا يعرف كيف يخاطب امرأة، ولا كيف يكتب إليها ... إنه لم يقرأ في حياته كتابًا ... ولم يمسِك بالقلم إلا ليَخطَّ أرقامًا أو يوقِّع عقودًا ... خطب أخيرًا فتاة مثقَّفة من الإسكندرية ... حالَت أعماله في القاهرة دونَ رؤيتها في كل حين ... فاضطرَّ المسكين إلى مُكاتَبتها ... وهو على ما وصفتُ لكِ من الجهل بالكتابة إلى النساء! ... وكانت لسُوء حظِّه ممَّن لا يقنعْنَ بالأسلوب المبتذَل ... لقد كانت تريد منه تعبيرًا جميلًا عن عواطفه نحوها ... وهذا كما تعلمين حقُّ كلِّ فتاة في عهد الخِطبة، التي تَعدُّها أروعَ عهودها، وأهنأ أيامها! ... فلجأ إليَّ هذا الصديقُ يخبرني بمِحنته، ويسألني كيف أُخرِجه من ورطته ... ثم انتهى الأمر بأنْ رجا مني أن أكتب له هذه الخطابات، وأن أُمْليها عليه، ليُبيِّضها بخطِّه ويرسِلها إليها ... وأوصاني أن أُوَجِّج له خطاباته بالعاطفة الصادقة، وأن أُلهِبها بالشعور الحي ... فلم أرَ خيرًا من أن أقتبِس له ممَّا كنتُ أكتبه إليكِ أيامَ خِطبتنا ... فما زال — ولله الحمد — في رأسي الكثير من عباراتها الجميلة. تلك هي الحقيقة مجرَّدة، كما وُلِدت ... أعرضها بين يدَيك!

الزوجة: الحقيقة؟!

الزوج: نعم ... وأقسِم لك.

الزوجة: لا تُقسِم! ... لا تُقسِم!

الزوج: إنكِ ترتابين!

الزوجة: إنكَ لم تفهمني! ... لو علمت كيف تقسو عليَّ بهذه الخطة التي تنتهجها؟! ... إن الطفل وحْدَه هو الذي تريحه الحكايات المخترَعة، فينام عليها ... أمَّا أنا فقد أكَّدتُ لكَ أن راحتي الكبرى هي في صفاء الحقيقة!

الزوج: هذا ما كنت أتوقَّعه!

الزوجة: بماذا تهمس؟ ... يا زوجي العزيز! ... لا تكتم عني شيئًا! ... أتوسَّل إليك! ... لا تذلَّ كبريائي! ... لا تشكَّ في قوَّة صمودي واحتمالي! ... إن إخفاءك الحقيقة عني يعذِّبني ... إنك تعذِّبني!

الزوج: لا حول ولا قوة إلا بالله!

الزوجة: تكلَّم! ... لا تصمت هكذا!

الزوج: ماذا أقول يا ربي؟! ... قلت لكِ الحقيقةَ فلم تصدِّقيها!

الزوجة: إني أعرف خيالك! ... هذا الخيال القدير على الاختراع ... ولكني أريد منك الحقيقة ... الحقيقة كما وقعت!

الزوج: كما وقعت في وَهْمك أنتِ ... تلك هي الحقيقة التي تريدينها ... الحقيقة التي أنبتَتها الغيرة في ذهنك! ... صحَّ ما توقَّعت: «ليس من السهل قولُ الحقيقة في كل الأحيان!» ... لأنها ستُقابَل كما يُقابَل المسيح الدجَّال!

الزوجة: بل لقد استقرَّ في وهمكم، أنتم أيها الرجال، أن الحقيقة يجب أن تُخفى عن النساء ... وأنه لا حياةَ زوجية بغير الكذب ... وأن الأحمق فيكم هو مَن يعجز عن تلفيق أكذوبة على زوجته! ... ولكني لستُ كبقية الزوجات! ... إني أحب الصدق ... ولا يريح نفسي غير الصدق ... أتوسَّل إليك بكل عزيز عليك أن تَصدُقني الحقيقة.

الزوج: تريدين الحقيقة؟ ... ولا تغضبين؟

الزوجة: أبدًا!

الزوج: إذن فاسمعي! ... إنها امرأة استظرفتها منذ شهور ... ولكن ما بيننا لم يكُن خطيرًا ... وقد انتهى ... وأظنُّكِ تلاحظين ذلك! ... ولو كنتُ مشغولَ النفس بغيرِكِ الآن لحدَّثتُكِ به غريزتُك!

الزوجة: مَن هذه المرأة؟

الزوج: راقصة!

الزوجة: راقصة؟! ... وكيف هي؟

الزوج: تافهة!

الزوجة: جميلة؟

الزوج: لا أظن ... إنما هي نَزوة من نَزواتنا مَعشر الرجال، كلما ارتفعنا في أذواقنا، وسَمَوْنا في عواطفنا؛ اشتقنا في لحظاتٍ قِصار إلى الهبوط كالذباب على المَزابل والأقذار!

الزوجة: أحببتَها؟!

الزوج: أهذا معقول؟

الزوجة: وهذه الخطابات كانت لها؟

الزوج: أف! ... ما آخِرة هذا التحقيق؟ ... قلتِ لي إنكِ لستِ قاضية! ... فإذا بكِ الآن نائبةٌ عمومية!

الزوجة: لن أسألك بعد الآن شيئًا!

الزوج: استرحتِ الآن؟

الزوجة: استرحتُ!

الزوج: ألن نفتح هذا الموضوعَ بعد اليوم؟

الزوجة: لا.

الزوج: ابتسِمي إذن.

الزوجة: ها أنا ذي أبتسم!

الزوج: ابتسامة حقيقية من فضلك ... لا ملفَّقة ولا متكلَّفة!

الزوجة: أتعتقد أني أستطيع التلفيق في الابتسام؟

الزوج: لستُ أدري ... قَلَّما يمكِنني التمييز بين الصدق والكذب في ابتسامتك!

الزوجة: وأنا كذلك.

الزوج: يا لَلعجب! في أيِّ جوٍّ نعيش نحن معًا في هذا البيت؟!

الزوجة: ثِق أني لا أشكو من شيء ... ولكني أعيش لحظات وأنت تتكلم أُسائِل نفسي: هل أصدق أو لا أصدق؟

الزوج: وأنا أعيش لحظاتٍ أراقب فيها نظراتك وبسماتك وأتساءل: «هل صدقَت أو لم تصدق؟»

الزوجة: إني مستعدَّة أن أعاونك على إيجادِ حلٍّ لما نحن فيه!

الزوج: لا حلَّ هنا لك! ... لأن هذا موجود في كل أسرة! ... إنه عنصر من عناصر الجوِّ الذي يخيِّم على كل بيت ... كعنصر «الهيدروجين» في جوِّ الأرض! ... منذ أن شيَّد «آدم» و«حواء» بيتهما الأول، و«حواء» تعتقد أن «آدم» يُخفي عنها شيئًا ... كلُّ زوجة تعتقد أو اعتقدَت في وقتٍ من الأوقات أن زوجها يُخفي عنها رسالة أو صورة أو عاطفة أو مالًا أو خبرًا! ... ولن ينفع في كل الأحيان كشفُ الحقيقة العارية؛ لأنها تنقلب في نظر الزوجة كذبًا ... يحتاج في علاجه إلى كذبٍ في ثوبِ حقيقة!

الزوجة: هل تظن ذلك؟

الزوج: بل أُومِن! ... ماذا تصدِّقين وتفضِّلين؟! ... ثعلبًا مسلوخًا، أو فروًا منسوبًا إلى ثعلب؟!

الزوجة: الفرو بالطبع!

الزوج: اتفقنا ... دَعكِ إذن من الحقيقة، فهي هُراء! ... وَلْنقصر اهتمامَنا على «الواقع» ... أتَذكُرين البارحة عندما ذهبنا معًا إلى «السينما» ... وشاهَدْنا تلك الرواية المؤثِّرة التي أسالت من عينَيكِ الدموع؟ ... ماذا قلتُ لك؟

الزوجة: قلتَ لي: «يا لكِ من عبيطة! ... تبكين؟ ... أَوَتحسبين ما حدث في الرواية حقيقة؟!»

الزوج: وماذا كان جوابُك؟

الزوجة: أجبتُك: «ليس يهمُّني أن يكون ما حدَث في الرواية حقيقة أو خيالًا ... إنما الذي يهمُّني هو ما وقَع لي بالفعل من التأثُّر والانفعال»!

الزوج: نعم ... هذا هو المهمُّ حقًّا ... أثَرُ الأشياء في أنفُسنا نحن ... نبضات قلوبنا هي وحدها المقياس! ... ما شعورِكِ نحوي الآن؟

الزوجة: هو عين شعوري نحو رواية البارحة ... لم يَعُد يهمُّني حقيقتك أو خيالك ... ولكني برغم ذلك ...

الزوج: تدمعين وتصفِّقين! ... تلك هي الرواية الناجحة!

الزوجة: يُخيَّل إليَّ أني اهتديت إلى الحل الذي كنَّا نبحث عنه الساعة ... إن الحياة الزوجية الناجحة ...

الزوج: أصبتِ يا عزيزتي! ... يجب أن تُبنى على أساس الرواية السينمائية الناجحة!

هنداوي